مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد10 /العدد: 01 (2021)، ص 850- 871

تحليل مفاهيمي لتشكل الطبقات الإجتماعية في الجزائر

Conceptualanalysis of the formation of social classes in Algeria

بن حمو محمد سعيد[1].
[1]جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان- الجزائر
said_benhamou@yahoo.fr
أد .بن تامي رضا[2]
[2]جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان-الجزائر
maussboas@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/07/04 تاريخ القبول: 2021/12/25 تاريخ النشر:2022/01/23

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى تحليل مفاهيمي لموضوع تشكل الطبقة الوسطى في الجزائر بتناول أهم المقاربات الكلاسيكية و الحديثة التي تطرقت لموضوع الطبقات الإجتماعية في العالم بصفة عامة و في الجزائر بصفة خاصة و محاولة فهم مختلف التغيرات الدورية و المتكررة إثر التطور و التقدم الإجتماعي و التي ينتج عنها عديد التعقيدات في الأبنية الإجتماعية و التي تظهر في مستويات البناء الإجتماعي بإختلاف وتباين يعرف بالطبقة الإجتماعية

كما تهدف هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن عنصر أساسي من عناصر البناء الإجتماعي ألا و هو الطبقة الإجتماعية بما تحتويه من مضامين إجتماعية وإقتصادية و سياسية و ثقافية ذات أهمية محورية في التفاعل الإجتماعي كون أن أي محاولة لتحليل البناء الإجتماعي تكون بتسليط الضوء على مختلف مكونات المجتمع في جميع جوانبه المختلفة .

كلمات مفتاحية: الطبقات الإجتماعية ،البناء الإجتماعي ،الفوارق الإجتماعية .

AbstractThis article aims to analyse conceptualythe formation of the middle class in Algeria by the mostclassical and modern

approaches that deal with the issue of social classes in the world and specialy in Algeria. And trying to understand the various cyclical and recurring changes following social development and progress that appears in the levels of the social structure in a difference and contrast known as the class.
This study aims to reveal one of the most items of social construction, which is social class, with its social, economic, political and cultural implications of pivotal importance in social interaction
Keywords: Social classes, social construction, social differences.

_المؤلف المرسل: بن حمو محمد سعيد، بن تامي رضا

1. مقدمة:

تعرف مختلف المجتمعات تغيرات دورية و متكررة إثر التطور و التقدم الإجتماعي و التي ينتج عنها عديد التعقيدات في الأبنية الإجتماعية ،و التي تظهر في مستويات البناء الإجتماعي بإختلاف وتباين يعرف عند المختصين في علم الإجتماع بالطبقة الإجتماعية .

و الطبقة الإجتماعية جزء من البناء تتفاعل فيما بينها بدينامية مع باقي النظم الإجتماعية الأخرى ، فتكون بذلك الطبقة الإجتماعية عنصر أساسي من عناصر البناء الإجتماعي بما تحتويه من مضامين إجتماعية و إقتصادية و سياسية وثقافية كما أنها ذات أهمية محورية في التفاعل الإجتماعي، كون أن محاولة لتحليل البناء الإجتماعي تكون بتسليط الضوء على مختلف مكونات المجتمع في جميع جوانبه المختلفة .

و الأدبيات السوسيولوجية التي تناوات موضوع الطبقات الإجتماعية تنقسم إلى قسمين أساسيين و بارزين في الحقل السوسيولوجي هي الإتجاه الكلاسيكي الماركسي الذي يفسر التباين الطبقي و يربطه بملكية وسائل الإنتاج ،في حين أن الإتجاه الوظيفي يفسره على أنه ظاهرة طبيعية تترجم الفروق الطبيعية

بين البشر و تتسم بالإستمراية، إلا أن هذان الإتجاهان عرفا مجموعة من الإنتقادات حيث يرجعون ذلك إلى مختلف التغيرات البنائية التي عرفتها المجتمعات ،مما أدى إلى إتساع قاعدة الفئات الإجتماعية و ظهور الطبقة الوسطى التي فرضت نفسها داخل البناء الطبقي للمجتمعات نتيجة الدور الذي تلعبه في توازن المجتمعات بإستعابها للوافدين من مراتب إجتماعية دنيا و سواقط الطبقة العليا.

و تتمحور إشكالية دراستنا هذه حول دراسة تشكل الطبقة الوسطى في الجزائر و تحليل مفاهيمي لتشكلها و تسليط الضوء على الأدبيات السوسيولوجية التي تناولت مفهوم الطبقة و تشكلها من خلال المقاربات الكلاسيكية و الحديثة التي تناولتها إذ يعتبر مفهوم الطبقة الإجتماعية الوسطى و الفئات الإجتماعية في الجزائر مفهوم حديث التكوين ظهر بعد الإستقلال في كنف القطاع العام نتيجة للإصلاحات الإقتصادية و الإجتماعية و السياسية التي إنتهجتها الدولة الجزائرية في فترة بعد الإستقلال،و في ظل مشروع التصنيع الذي أطلقته الجزائر في أواخر الستينيات من القرن الماضي.

2. التطور العلمي و التكنولوجي عامل لظهور الطبقة الوسطى .

عرفت عديد المجتمعات الرأسمالية في النصف الثاني من القرن الماضي تغيرات في أبنيتها الإجتماعية و الإقتصادية و الطبقية على حد سواء ، فأفرزت لنا جماعات إجتماعية و سياسية جديدة تعرف بالطبقة الوسطى الجديدة نتيجة لتحولات موضوعية في البنا الرأسمالية ، حيث تمكنت هته الأخيرة من التموقع داخل البناء الطبقي إذ إحتلت مكانا إستراتيجيا من حيث الفعالية و الأهداف والأدوار التي أصبحت تلعبها الطبقة الوسطى في المجتمع .

فالمجتمعات الرأسمالية عرفت تغيرات إجتماعية و إقتصادية عن سابقاتها و التي كان يميزها النظام العبودي

أو الإقطاعي ، حيث برزت في هته المجتمعات الرأسمالية أنظمة جديدة تميز العلاقات الإجتماعية ، إذ يذكر لنا عالم الإجتماع الفرنسي أيميل دوركايم ظهور شكل من أشكال التضامن بل و إحتلاله مكانة بارزة في العلاقات الإجتماعية الحديثة ألا و هو التضامن العضوي الذي حل مكان التضامن الآلي في المجتمعات التقليدية .

و لكن التطورات التي شهدتها هذه المجتمعات جعلت من البناء الطبقي نمودجا أكثر تعقيدا حيث ساهم هذا التعقيد في إفراز فئات إجتماعية و مهنية جديدة تمثلت في المتخصصين و الإداريين و أصحاب الرواتب و من يملكون مستوى تعليمي جيد و التي تمكنت من تحقيق وضع إجتماعي و إقتصادي وسط بين طبقتين أساسيتين في المجتمع ألا و هما البورجوازية و البروليتارية .

كما أنهم أصبحوا يتمتعون بنوع من الإستقلالية في بيع قوة عملهم ، و إكتسبوا نوع من السلطة في الجانب الإداري و الخدماتي تميزهم عن باقي الطبقات الإجتماعية .

و ظهور هته الفئة من المجتمع أو ما يعرف بالطبقة الوسطى و التي أصبحت تتسع يوما بعد يوم ، راجع إلى ما حصل من تغيير في الوضعية العلمية و التكنولوجية نتيجة للثورة المصاحبة للتصنيع وما نتج عنها من تغيرات في طبيعة التنظيم الإجتماعي و الإقتصادي ، حيث كان للثورة العلمية و التكنولوجية تأثير أكبر وأعمق و أهم من الثورة الصناعية في البنى الاجتماعية . (مرسي، 1990، صفحة 27)

و ما ميز المجتمعات الرأسمالية في القرن الماضي هو ذلك القدر من تدخل الدولة في الحياة الإقتصادية مما أدى إلى تفتت الطبقة الرأسمالية حسب ما يراه " داهر ندروف " " ....ذلك أن الملاك الرسميين للشركات و أصحاب الأسهم لم يعد بمقدورهم أن يمارسو أي تأثير دا بال على شؤون الشركات ، فقد إنتقلت القوة

والسيطرة إلى المديرين الدين ليسو برأسماليين و إنما يبيعون قوة عملهم إلى الطبقة السالفة ، فإنهم ليسو من فئة البروليتاريا ، فهم بالتأكيد ينتمون غلى جماعة بينية تتمثل في الطبقة الوسطى ..." (مرسي، 1990، صفحة 40)

إن التغيرات المترتبة عن الثورة العلمية و التكنولوجية و بالخصوص تلك التي طرأت على قوى الإنتاج وعلى تقسيم العمل و كذا التنظيم الإقتصادي في حد ذاته ، هي من كانت سببا في ظهور فئات إجتماعية جديدة تقع وسط الهرم و التي تقوم بالأدوار و المهام التي اقتضاها التقسيم الجديد ، حيث أدت إلى خفض الطلب على معدل العمل اليدوي و زيادة الطلب على اليد العاملة المؤهلة ، و ظهور وظائف جديدة إدارية و إشرافية و خدماتية كالتسويق و النقل و الإتصال ، وأعمال البنوك .

وما تر تب عن كل هته التغيرات في البناء المهني داخل المجتمعات الرأسمالية كله كان في صالح الموظفين و العمال أصحاب الياقات البيضاء و هم محور وجود الطبقة الوسطى الجديدة . (مرسي، 1990، صفحة 90)

3. الاتجاهات الكلاسيكية و الحديثة التي أسست نظريا لدراسة الطبقات:

1.3 الاتجاهات الكلاسيكية:

ظهر مصطلح الطبقات الإجتماعية أول مرة في القرن 18حيث استخدمه "تيرغو"TURGOT في مذكراته حول تكوين وتوزيع الثروات ،إلا أنه شاع في الوسط الإقتصادي والحقل السوسيولوجي مع "كارل ماركس" إذ استعمله على نطاق واسع وبمعاني مختلفة.

1.1.3 النزعة الاقتصادية لدى كارل ماركس:

يرى "كارل ماركس" أن الطبقات الإجتماعية ما هي إلا حقائق تاريخية وإجتماعية تعكس التنظيم الإقتصادي والتي تعتبر عبارة عن مواجهة بين مالكي قوة العمل،ومالكي وسائل الإنتاج ،فالعقد الذي يجمع بينهم هو بيع قوة العمل

للرأسمالي مقابل قيمة تبادلية تسمح له بتجديد هته القوة. إلا أن هذه القيمة أقل من القيمة الإستعمالية، والفرق بين هته القيمتين يؤدي إلى إنتاج رأس مال،وينتج عن علاقة الإستغلال هته صراع أساسي. (شاهين، 1976، صفحة 26) و يرى "ماركس" أن الطبقات الإجتماعية ظهرت خصوصا في المجتمعات الرأسمالية و بصفة أهم في المجتمعات الصناعية، ما يبرر خلو المجتمعات التقليدية من الطبقات الإجتماعية وتعويضها بنظام الطوائف المغلق. و أن ما كان روابط الدم في المجتمعات التقليدية تغير لروابط المصلحة في المجتمعات الصناعية.

وكتابات ماركس في حد ذاتها تشكل نوعا من التناقض من حيث عدد الطبقات، فمثلا في البيان الشيوعي يتحدث عن طبقتين إثنتين إذ يقول: "إن ما يميز عصرنا، عصر البرجوازية هو اختصاره لصراع الطبقات، فالمجتمع كله يتجه إلى الإنقسام إلى معسكرين عدوين و إلى طبقتين كبيرتين تتصادمان بشكل مباشر، البرجوازية والبروليتارية"(friedrick, 1973, p. 06) .

في حين أنه يتحدث عن 7 طبقات في كتابه صراع الطبقات في فرنسا، أما في أهم مؤلفاته وهو "رأس مال" ،ذكر لنا ثلاث طبقات ذكرها في الفصل الأخير من كتابه وأخذ إسم الطبقات ،وهم على التالي: العمال الأجراء والرأسماليون والملاك الذين يشكلون الطبقات الثلاث في المجتمع الحديث القائم على نمط الإنتاج.

2.1.3 الطبقة الاجتماعية في المفهوم الفيبيري:

يحدد "فيبر" الطبقات الاجتماعية إنطلاقا من الوضعيات الإجتماعية معتبرا إياها مجموعة من الأفراد لهم نفس وضع الطبقة دون الإهتمام بالدين، فكان بذلك تصوره غير تصور "ماركس"،فهو يعتمد أساسا في تحليله على وضع الطبقة ويمر بثلاث أصناف من التدرج الإقتصادي والتدرج الإجتماعي والتدرج السياسي.

كما يبين أن الطبقة يحددها التدرج الإقتصادي والحزب يحددها التدرج السياسي في حين أن مركز الإعتبار أو المكانة الإجتماعية فيحددها التدرج الإجتماعي.كما يقول بأنه هناك علاقات بين الأصناف الثلاثة من التدرج لكنها ليست حتمية. (إدريس، 2018، صفحة 46) ،في حين أنه يفصل بين الطبقات الاجتماعية عن طريق تصنيفين أساسيين تتمثل في المعيار الإقتصادي من جهة الطبقة المالكة التي تسيطر على الثروات ومن جهة أخرى طبقات المكتسبات وهي التي تحتكر بعض الخدمات مثل التجار والمقاولين وأصحاب المهن الحرة، وتتوسطهم الطبقة الوسطى . ويرى "فيبر" أنه من المحتمل وجود صراع إذ وجد وضع طبقي عكس ماركس الذي أكد على أن الصراع موجود لأن الطبقات الاجتماعية ترتسم معالمها وتتحدد كما أنه توجد نقطة إختلاف جوهرية بينهما تتمثل في كون "فيبر" يرى أن الصراع بين الطبقات لا يقود بالضرورة إلى مواجهة بين الشرائح الأكثر تعرضا من حيث المصالح داخل المجتمع، وإنما يحصل بين الشرائح الأكثر إحتكاكا.

2.3 الاتجاهات المعاصرة:

يمكن حصر أهم المقاربات المعاصرة المعالجة لموضوع الطبقات الإجتماعية في ثلاث مقاربات أساسية هي:

مقاربة "بيار بورديو"Pierre bourdiew، "آلان توران" Alaine Touraine ومقاربة "رالف دالهرندورف"Ralf Dahrendorf ونستهلها كما يلي.

1.2.3 معيار رأسمال في المقاربة البوردوفانية:

فسر "بيار بورديو" فكرة بناء المجال الإجتماعي وتوزيع الأفراد بحسب وضعياتهم في هذا المجال حسب رأس المال الذي يملكونه،وحسبه فإن رأس المال يتشكل من رأس المال الثقافي وما لديهم من شهادات ومؤهلات ثقافية تحصل عليها الأفراد. كمايرى "بورديو" أن بناء الحقيقة الإجتماعية يكون بالربط بين الحقل الذي هو التاريخ المتموضع في الأشياء وبين التصنيع وهو الطريقة التي تتطبع بها

البنيات الإجتماعية في أذهان الفاعلين الإجتماعيين. وبرز هذا التحليل في قوله" أن ما أقوم به ليس على الإطلاق عملا نظريا بل هو عمل نظري يسجد كل المصادر النظرية من أجل إحتياجات التحليل الإمبريقي (بورديو، 1995، صفحة 68).

و بإعتبار أن الطبقات الإجتماعية هي جزء من المجال الإجتماعي فإنها في ظل هذا التصور جزء من البناء الفكري والنظري للباحث فهو يساعده على الفهم والتفسير.ويقترب "بورديو" بهذا الطرح من الطرح الفيبري إذ يقول "إن صلاحية التصنيف قد تدفع إلى إدراك النظرية ، وهي مجموعات خيالية لا يوجد على الورق،نتيجة قرار فكري من الباحث وكأنها طبقات حقيقية ،أي مجموعات حقيقية تشكلت على هذا النحو في الواقع".(bourdiew, 1974, p. 26) .

وهذا ما واجه ماركس في تبنيه لفكرة الطبقات بإنتقاله من الطبقة على الورق إلى الطبقة في الواقع مبينا ذلك "بيير بورديو" بقوله " كان فقرة قاتلة من الوجود في النظرية إلى الوجود في الممارسة" (bourdiew, 1974, p. 27).

وفي هذا الصدد حسب "بورديو" تقوم الطبقة المحتملة على مفهوم القرب في المجال الإجتماعي فهي بذلك تحدد اللقاءات والإنسجام والتعاطف وتتجاوزه حتى إلى الرغبات. بمعنى أن الأفراد الواقعين في أسفل السلم الإجتماعي ليس لهم الحظ في الزواج مع أفراد يقعون في أعلى هذا السلم بل لن يحصل بينهم تفاهم لا في الحياة الإجتماعية ولا الحياة الخاصة، في حين أن القرب في المجال الإجتماعي الواحد يمكن من التقارب في الأذواق و الذهنيات وحتى الإمكانيات.

وبناءا على ذلك فإن الطبقة الإجتماعية هي طبقة ممكنة التشكل دون إنجاز في المفهوم الفيبري بينما هي مشروع يجب إنجازه عن طريق الصراع والعمل السياسي في الفكر الماركسي.

والواقع إن التصورات الحديثة للطبقة الاجتماعية تأثرت بالفكر الفيبري حيث أنها تنحاز إلى الطابع المتعدد الأبعاد في تصنيف الطبقات في الأجر والسلطة والإعتبار الإجتماعي هم أبعاد ضرورية لتحليل الواقع وفهمه

2.2.3 المعيار التاريخي عند ألان توران:

يفسر "توران" التاريخية على أنها "العمل الذي يمارسه المجتمع إنطلاقا من نشاطه على ممارساته الإجتماعية والثقافية وذلك بالمزج بيت ثلاث مكونات:صيغة المعرفة التي تشكل صورة للمجتمع ، والطبيعة والمراكمة التي تقتطع جزءا من الناتج الجاهز،والنموذج الثقافي الذي يدرك قدرة تأثير المجتمع على ذاته . (توران، 1976، صفحة 803) ويمكن إعتبار التاريخية عند "تورين "هي تسمية جديدة لنمط الإنتاج عند الماركسيين.

ويفصل "توران" بين ثلاث أصناف للطبقات الإجتماعية:الطبقات العليا والطبقات الوسطى والطبقة الشعبية.

أ - الطبقة الشعبية: وهي الطبقة المحكومة وهي تلك التي تدير حركة النموذج الثنائي حيث تساهم فيها، إذ أنها تتخذ موقفين أساسيين فهي من جهة تقاوم هيمنة الطبقة المسيطرة باتخاذها موقف الدفاع لحماية عملها وطريقة عيشها ومن جهة أخرى فإنها تلجأ إلى النموذج الثقافي لتقاوم الإستهلاك الخاص الذي تتعرض له. (توران، 1976، صفحة 216) وهي تتشابه إلى حد كبير في دورها ووضعها مع طبقة البروليتاريا في الفكر الماركسي.

ب - الطبقة العليا: تظهر على هته الطبقة حسب توازن صفتين متعارضتين ومتكاملتين يتمثلان في التعبير الإجتماعي عن النموذج الثقافي ،ومن جهة أخرى تمارس إحداها على مجمل المجتمع، وبالتالي فإنها طبقة مسيطرة وقائدة تلعب دور الفئة التي لها سلطة تحريك الموارد الإجتماعية، وفي الوقت نفسه تشرف على إستخدام هته الإستثمارات وتوازن بين ما تجنيه من ربح وسلطة من مصالح

النموذج ومصالح الأجهزة التي تديرها، وهي بذلك تقترب إلى حد كبير في دورها وتركيبتها من الطبقة البرجوازية عند ماركس. (توران، 1976، صفحة 216) .

ج - **الطبقات الوسطى:** وهي الطبقات التي تقع بين الطبقات العليا والطبقات الشعبية، إذ يقول "توران" "لا تستطيع الطبقة المسيطرة ولا الطبقة المحكومة العمل بنفسيهما، ومن هنا نجحت أهمية المثقفين الذين يعملون بإسمها،أما الذين يهتمون بتنظيم النظام الإجتماعي لصالح الطبقة، فغالبا ما يقيمون في الجهاز الحكومي والقانوني و أما الذين ينطقون بإسم الطبقة المحكومة فهم على العكس مثقفون معارضون وعلى هامش جهاز التقرير في كثير أو أقل. (توران، 1976، صفحة 217) .

إلا أن" توران "في تحليله الصراع بين الطبقات ينحصر بين ما سماه بالطبقات العليا والطبقات السفلى ويتناسى بذلك الطبقة الوسطى رغم إعتراف بوجودها، وهو يتقارب مع تحليل "داهرندوف "للصراع حيث أنه لا يمكن إنتقال للسلطة من طبقة إلى طبقة أخرى حسبه، إنما تختفي وتتهمش مع إختفاء الطبقة المهمشة. فالصراعات التاريخية حسبه لا تحل بقلب السيطرة وإنما تحصل بتغير التاريخية. والطرح هذا يضعه في خانة البنيويين الذين يذهبون إلى أن أي تغيير في أحد المكونات الأساسية للبنية لن يحصل إلا في ضوء تغيير البنية نفسها، وذلك عن طريق إحداث القطيعة بين بنية وأخرى، وفي سياق يتدرج ضمن مفهوم التاريخية يقترب من مفهوم البنية.

3.2.3 المعيار السلطوي عند رالف داهرندورف:

يعتبر "رالف "أن معيار ملكية وسائل الإنتاج الذي وضعه "ماركس" في المقدمة لم يعد مناسبا أو دقيقا خصوصا لما تغيرت الوضعيات و إنقلبت سلطة القرار في المؤسسات الكبيرة من يد أصحاب رؤوس الأموال، وأصبحت بقبضة أصحاب الخبرة. وبرهن ذلك "داهرنذروف" أن مصدر الصراعات هو عدم المساواة

في توزيع السلطة بين المجموعات الإجتماعية والأفراد، إذ أن سوء التوازن في توزيع الثروات نسبي، بينما هناك إختلال مطلق في توزيع السلطة وبشكل دائم، فمن جهة هناك من يمسك بالسلطة ومن جهة أخرى هناك من يخضع لها. (إدريس، 2018، صفحة 43).

ويرى "داهرندورف" أن العنف قد يؤدي إلى مأسسه الصراع عكس ما يراه ماركس بأن لابد من وجود العنف لإحداث التغيير بين ما يملكون قوة العمل ومن يملكون وسائل الإنتاج، فعدم المساواة له آثار منشطة لأن الفئات المحرومة من الإمتيازات لابد لها من الصراع للحصول على هته الإمتيازات التي تمكنها من بناء سلطة معينة والمنافسة الشريفة ضرورية لإحداث العدالة وتأمين فرص الإنجاز والنجاح لأكبر عدد ممكن الأفراد، إذ تتجلى هته المنافسة الشريفة حسبه في السوق الذي يقوم على العرض والطلب،وأن كل آلية للتدرج الإجتماعي تفسر عن طريق منطق العرض والطلب .

وبالرغم من أن النموذج قد يؤدي إلى تشجيع الحراك الإجتماعي وجعل المجتمع مفتوحا ،إلا أن الأفراد لا تتحد أوضاعهم كل يوم، وأن التغيرات التي قد تطرأ على البناء الإجتماعي ليس مفادها تقليص في عدم تكافؤ الفرص أمام الأفراد في حد ذاتهم.

4 .المقاربات النظرية التي عالجت موضوع الطبقات الإجتماعية في الجزائر:

حظيت الجزائر قبيل الإستقلال بقليل بعدد من الدراسات السوسيولوجية التي أجريت حول موضوع الطبقات الإجتماعية الموجودة بها، مما ساهمت في خلق تراكم معرفي حول مسألة التدرج الإجتماعي في الجزائر والمعايير التي يمكن اعتمادها في تحليل وفهم الواقع.

وسنتطرق لهته الدراسات بنوع من التفصيل فيما يلي:

1.4 دراسة بيار بورديو:

أنجزت أول دراسة في الجزائر حول الطبقات الإجتماعية سنة 1961 بعنوان "العمل والعمال في الجزائر" Travail et travailleurs en Algérie برئاسة "بيير بورديو" بمعية" ألين ديربال "و" جون بيبر ريفت" و "كلود سابل" وقد تطرقوا في هذا الكتاب إلى جزء مهم عن الطبقات الإجتماعية في الجزائر سماه "بيير بورديو" "خطوط عريضة للطبقات الإجتماعية" Esquisse pour un tableau des classes sociales ،حاول فيه تحديد المعايير التي تميز الطبقات الإجتماعية كنوع القطاع الذي يشغل فيه الفرد، ومدى الإستقرار في المهنة، ونوع النشاط، ودرجة التأهيل والمستوى العلمي.

1 - نوع القطاع الإقتصادي: فالإقتصاد الجزائري ينقسم إلى قسمين هامين حسب الباحثين في الاقتصاد الجزائري،فهم يميزون بين القطاع التقليدي والقطاع الحديث.

فالأول هو عبارة عن نشاط إقتصادي عرفته الجزائر قبل دخول الإستعمار ،وإستمر خلال الفترة الإستعمارية، وهو يوزع على مجموعة من النشاطات الزراعية والرعوية في المناطق السهبية وكذا بعض الحرف في المناطق الحضرية. في حين أن القطاع الثاني والقطاع الحديث فسر إلى النشاط الذي كان يعتمد على التصدير سواء كان في مجال الحمضيات والكروم أو المجال الخدماتي في المناطق الحضرية.

والفصل بين هذين النوعين من الإقتصاد شكل لنا فروقا بارزة في نمط العيش والتدرج الإجتماعي لدى الأفراد الجزائريين.

2 - الاستقرار المهني: عرف العمال في وقت زمني معين نوعا من عدم الإستقرار المهني الناتج عن المهن والحرف الموسمية المتعلقة بالزراعة وبالظروف المناخية إلا أنه سرعان ما تضاعفت فرص العمل وزاد الطلب على اليد العاملة مع التوجه

الصناعي الذي أقرته الجزائر مع الثورة الصناعية ،ففي هته المرحلة لم يشكل الإستقرار المهني حاجزا لدى طبقة العمال ولم تشكل المهن في هته المرحلة معيار التدرج الإجتماعي.

3 - نوع النشاط الذي يقوم به الفرد: قد ميز "بورديو" بين نوعين من العمل في الجزائر هما:العمل اليدوي والعمل غير اليدوي، فهو يرى أن العمل اليدوي يضع صاحبه في مواجهة مادية ولا يحتاج إلى مستوى تعليمي في حين أن النوع الثاني وهو العمل الغير يدوي فحسب "بورديو" المشرفون على المهام على العمال اليدويين.

4 - درجة التأهيل أو مستوى التعليم: حاول "بورديو" في دراسة العمل والعمال في الجزائر أن يقف على معيار التأهيل والمستوى التعليمي للعمال الجزائريين وحصر تأثير المستوى التعليمي في القطاع الحديث أو الإدارة الصناعية التي تعتمد على الصناعات الميكانيكية والطاقوية بصفة خاصة،في حين أن القطاع التقليدي ليس له تأثير بالمستوى التعليمي للعمال . وقد أعطى "بورديو" مصطلحا سماه بالحقل الثقافي،وقد تحدث "بورديو" وفق هته المعايير إلى وجود أربع طبقات إجتماعية في الجزائر هم:

أ - حثالة البروليتاريا les sous prolitaires: وهم فئة العمال الذين لم يتلقوا أي تكوين أو تعليم وهم يعانون من عدم الإستقرار في الوظيفة.

ب - البروليتاريا: وتضم العمال المؤهلين في القطاع الحديث وهم طبقة النخبة العمالية.

ج - طبقة عمال القطاع التقليدي: وهم ورثة المؤسسات النصف صناعية من البرجوازية التقليدية والتجارية، حيث يصف التجارة بأنها المنفى للعمل التقليدي.

د - طبقة الذين يقومون بأعمال غير يدوية في القطاع الحديث ولهم مستوى تعليمي: وهي تضم الموظفين والإداريين والوظيفة العامة والبيروقراطيين وهم من يشكلون برجوازية صغيرة حسب" بورديو".

2.4 مقاربة رونيه غاليسو René Galissot: وهو من بين الباحثين الفرنسيين المهتمين بدراسة الشمال الإفريقي ومن بين الدول التي أجرى عليها دراسات كثيرة هي الجزائر.

وقد طرح مقاربته على شكل تدرج تاريخي فتطرق إلى العوامل المؤثرة على الطبقات الإجتماعية إبان الإستعمار وبعده.

سياسة تفقير الشعب من طرف الإستعمار: عرفت مرحلة الإستعمار في الجزائر فترة معيشة جد صعبة نتيجة للسياسة التي إتبعتها السلطات الإستعمارية في تفقير الشعب الجزائري لاسيما مصادرة الأراضي و الأملاك من جهة، ومن جهة وأخرى سن وفرض ضرائب ثقيلة أدت إلى إفلاس جماعي للأهالي مما أظهر ثلاث نتائج عن ذلك من حيث تشكل الطبقات الإجتماعية. إذ أن الطبقة البرجوازية في الجزائر تقلصت بشكل رهيب إلى درجة التلاشي وعوضتها بورجوازية المعمرين الفرنسيين والفئة القليلة التي تبقت من البورجوازية الجزائرية ،وجهت أبناءها نحو الدراسة وتحصيل الشهادات ،ما أعطى قيمة إجتماعية للعلم والمعرفة،كما مس التفقير كل الفئات الإجتماعية الأخرى ما أدى إلى تدهور طبقي حيث يسميه "غاليسو" (rene, 1978, p. 217) فيقول: "في الجزائر لم يعد هناك وجود للفلاحين:إن الفانونية Fununisme مجرد وهم وهاهو موجود ، هم مرشحون لأشكال متنوعة من العمل المأجور.

أما بعد الإستقلال عرفت الجزائر تشكل أربع طبقات إجتماعية حسب"غاليسو" نتيجة لظهور مجموعة من الإصلاحات من طرف الدولة الجزائرية

من أجل النهوض بالإقتصاد الوطني،ومن بين هته الإصلاحات الثورة الزراعية والثورة الصناعية التي إحتاجت إلى يد عاملة بالآلاف لتلبية سوق العمل الجديد.

وقد تشكلت هته الطبقات الإجتماعية من فئة المزارعين الذين عملوا في مزارع المعمرين الفرنسيين من قبل،وطبقة أخرى من الأجراء الذين يعملون في الصناعية لتلبية حاجيات المصانع العملاقة التي أقامتها الدولة الجزائرية في إطار مشروع الثورة الصناعية.

ومن جهة أخرى طبقة العمال الأحرار وهي طبقة برجوازية صغيرة تشكلت في القطاع الخاص،وهي تشكل أقلية مقارنة مع الشرائح الإجتماعية الأخرى التي إرتقت في قطاع الخدمات والوظيفة العمومية.

أما الطبقة الرابعة فهي البيروقراطيين الذين ينتمون إلى قطاع الخدمات من سياسيين وإطارات ومعظمهم هم الذين إستفادوا من التعليم بالفرنسية،وهم حسب "غاليسو" مجموعة ممن يضعوا القرارات ومن ينتقدونها.

وأهم نقطة إرتكزت عليها مقاربة "غاليسو" هي ظاهرة التدهور الطبقي نتيجة التجارب السياسية والإقتصادية التي قامت بها الدولة غداة الإستقلال مباشرة،وهي المرحلة التي عرفت تشكل الطبقة الوسطى الجديدة وذلك راجع إلى حاجة الدولة إلى بيروقراطية ومسيرين في ظل التسيير الإداري للإقتصاد.

وقد عرفت الفترة بمحاولة السيطرة على القرار في المؤسسات الإقتصادية الجديدة بين مختلف شرائح الطبقة الوسطى مما أدى إلى خلل في وظيفة المؤسسات إذ أنها لم تحقق النتائج المرجوة وتحولت إلى فضاء تمارس فيه ممارسات تهدف إلى هيكلة المجتمع ومنح الشرعية للسلطة السياسية.

3.4 مقاربة مغنية الأرزق:

في سنة 1980 صدر كتاب بعنوان" نشوء الطبقات في الجزائر " للمؤلفة مغنية الأزرق وهو كتاب باللغة العربية بعد أن صدر لها كتاب باللغة الفرنسية

سنة 1975 تطرح فيه الباحثة فكرة جوهرية مفادها "في حالة الجزائر ،يمكن أن تعرف الطبقة على أساس تملك وسائل الإنتاج وأسلوب تملك قوة العمل.ولا يؤخذ الوعي الطبقي هنا كمعيار في التعريف إبان ظهور هذا المفهوم ، ويتوقف على القنوات التي تتيح التعبير عن المصالحة الطبقية والنصوص القانونية فيما يتعلق بحرية التنظيم السياسي (الأزرق، 1980، صفحة 25). وهي بهذا التعريف تميل كل الميل إلى النزعة الماركسية التي أثرت عليها في كتاباتها بشكل واضح،مع العلم أنها قد حاولت تكيف المفهوم الماركسي نوعا ما ليستجيب لخصوصية الواقع الجزائري فإستبعدت عنصر الوعي في تشكيل الطبقات الإجتماعية تماشيا مع الخصوصية الجزائرية،وركزت على ما سمته "الطبقة المهنية " التي حاولت تفسيرها في الواقع الجزائري بأربع مؤشرات هي:

1. السيطرة على ملكية وسائل الإنتاج.
2. الهيمنة في التنظيم والتوزيع الإقتصاديين لفائض القيمة.
3. الهيمنة في التشديد الإيديولوجي.
4. الهيمنة في صنع القرار السياسي.

وقد إستمدت الباحثة هته المؤشرات من تجارب التنمية التي قامت بها الدولة الجزائرية للنهوض بالإقتصاد الوطني، إذ اتجهت به نحو السيطرة الجماعية والتأميم وخلق برجوازية الدولة المعتمدة على جهاز بيروقراطي ظخم.

كما أن مغنية الأزرق ركزت في مقاربتها على تشكيل البيروقراطية الجديدة مع الإستقلال،وقد ثبتت بذلك الباحثة البيروقراطية المفترضة في الجزائر عام 1963. وقد توصلت الباحثة في دراستها أنه"في حالة الجزائر فإن بيروقراطية الدولة تستخدم كأداة للإنتاج الطبقي وإعادة الإنتاج الطبقي على حد السواء" (الأزرق، 1980، صفحة 183).

أي أن مغنية الأزرق إعتبرت بيروقراطية الدولة في الجزائر آلة لمنع الحراك الإجتماعي،إذ تحول دون حصول الأفراد على مبدأ تكافؤ الفرص في تحسين الوضعية الإجتماعية والارتقاء الإجتماعي،وهي عكس ما تعلنه الدولة تماما. ولكنها لم توضح الآليات التي إعتبرتها الباحثة أنها تجعل من الإدارة أداة لإعادة الإنتاج الطبقي مسقطة بذلك النموذج الفيبري على الجزائر. إذ أن الدول التي كان يهيمن عليها النموذج البيروقراطي عانت من ركود في بنياتها الإجتماعية والإقتصادية قبل إعادة صياغتها لهذه الأنظمة.

ومن بين الإنتقادات التي وجهت للباحثة أنها في الفترة التي قامت بإجراء دراستها وفترة تبلور صناعة النظام القائم على البيروقراطية في الجزائر بدءا من سنة 1967 كانت قصيرة، فلا يمكن إصدار أحكام على إعادة إنتاج الطبقات الإجتماعية لنفسها وصمود الحراك الإجتماعي في فترة أقل مل جيل.

4.4 مقاربة محمد بوخبزة:

الدراسة التي قام بها الباحث الجزائري محمد بوخبزة التي سلطت الضوء على الفوارق الإجتماعية بعنوان "القطيعة والتحولات الإجتماعية في الجزائر" Ruptures et transformation sociales en Algérie والتي شملت الفترة الممتدة بين 1950 و 1980 حيث أنه يصرح "يجب أن يكون المرء أعمى لينكر وجود فوارق إجتماعية في الجزائر أثناء الإستعمار وبعده لأن المستعمر خلال سيطرته لم يعمل سوى زيادة الحدة بين الفوارق والتمايز في المجالات الثلاث:الإقتصادية والثقافية والسياسية"(mohammed, 1980, p. 17) .

وهو يستعمل مصطلحات محايدة ويتجنب إستعمال مفهوم الطبقة،إذ استبدله بمصطلح المجموعات الإجتماعية Ensembles sociaux ،وكذلك مصطلح شرائح مسيطرة أو تحت السيطرة (mohammed, 1980, p. 18) ،ولكن ذلك لن يغير من الأمر شيئا لأن لها نفس المدلول فنجده يقول:"إذا كانت

الطبقات الإجتماعية في ذاتها موجودة في كل المجتمعات،فكلما كانت هناك سلطة هناك تدرج إجتماعي وتقسيم إجتماعي للعمل".(mohammed, 1980, p. 19)

و تخوف الباحث من إستعمال مصطلح الطبقة راجع إلى أسباب إيديولوجية لأن الفترة التي أجريت فيها الدراسة كانت شعار بالسلطة يتسم بوحدة الفكر والتصور ومنع الطبقات من إكتساب وسائل التعبير عن تصوراتها.

وقد عرفت هته الفترة تراجع وإنكماش في مواجهة إيديولوجية السلطة ،فقد كانت الطبقة الوسطى بمختلف شرائحها تتجنب المواجهة.

وقد حاول "بوخبزة "في هته الدراسة البحث عن قدرة المجموعات الإجتماعية على إنتاج نفسها ومحاولة التعرف على ما إذا كان هناك تواصل أم إنقطاع ومحاولة التعرف على مدى إتساع أو تقلص الهوة بين الطبقات الإجتماعية.

إذ توصل في دراسته أنه بين سنة 1959 و1979 أن الهوة بين الطبقات الإجتماعية زادت وإتسعت وبرز ذلك جليا في مستوى الزيادة في الدخل بين الإطارات السامية وبين الإطارات المتوسطة والعمال المهنيين، حيث أن مستوى الزيادة في الدخل السنوي كبير وشاسع مما ساهم في إتساع الهوة بين الطبقات الإجتماعية، وهو عكس ما يلمح له الخطاب السياسي للسلطة في تلك الفترة والذي كان يدعو ويشير إلى تقليص الفوارق الإجتماعية بين أفراد المجتمع، ولكن الواقع الكمي أظهر عكس ذلك والطبقة المتوسطة لم تشكل إلا ما مجموعة 18.7 % من مجموع السكان، أما الفقراء فكانت نسبة 54.8% في حين أن ميسورو الحال فقد بلغت نسبتهم 26.5 % . في فترة السبعينات، وما لاحظه الباحث أن الطبقة الوسطى شكلت أضعف نسبة. إلا أن الباحث لم يركز بشكل كبير على حجم الطبقة الوسطى أو وضعيتها بعدما ركز في دراسته بشكل أساسي على التحولات الحاصلة في بنية المجتمع الجزائري (إدريس، 2018، صفحة 74).

5.4 مقاربة على الكنز: في كتاب سماه "حول الأزمة" طرح مقاربته حول الطبقة الوسطى في الجزائر وقد سمي "معطيات لتحليل الأنتلجانسيا في الجزائر، إذ أن الكنز يصنف بين صنفين من المثقفين.

أ - المثقفون الذين يعيشون في وسط مغلق وهم في نظره لا يشكلون إنتاج مهما كان عددهم أو إنتاجهم سواء كانوا خريجي الجامعات وأصحاب الشهادات والذين ليسوا بمثقفين ولا أنتلجنسيا، حيث أن المعرفة المتراكمة لم تقم بدورها في النظام الدلالي الرمزي للمجتمع حسب الباحث (الكنز، 1990، صفحة 15) .

ب - المثقفون العضوين ويصفهم بأنهم القادرون على إنتاج وإعادة إنتاج معنى إجتماعي من فئة المثقفين، ولهم القدرة على تكوين وتوجيه حيز من المجتمع المدني، ويرى أنها لها القدرة على مساعدة وتوجيه الممارسة الإجتماعية. وبذلك فإن الباحث قد تأثر بنظرية غرامشي حول المثقف الذي يميز بين نوعين من المثقفين، المثقف التقليدي والمثقف العصري ،أي أن غرامشي يميز بين المعرفة التي تتحول إلى ممارسة وبين المعرفة التي لا تتحول إلى ممارسة (الكنز، 1990، صفحة 22).

وحسب مؤشر الإنفصال أو الإتصال في المجتمع فالكنز يرى أن جل المثقفين الأوائل عرفوا الإنفصال والإنسلاخ عن مجتمعهم منذ البداية فجزء منهم فضل طرق تمكنهم في التموقع في الحقل الثقافي الجزائري بعيدا عن المجتمع المدني،في حين الفئة الأخرى إنحازت إلى الثقافة الفرنسية الداعية للحريات (الكنز، 1990، صفحة 25).

وقد سبقه بذلك الطرح الباحث محمد أركون القائل بأن الجزائر تأثرت في العصور الوسطى بالإشعاع الثقافي الأندلسي والتونسي البارزات آنذاك ومن بعد الإحتلال أصبحت الثقافة الفرنسية هي البارزة في الفكر الجزائري خصوصا بعد

إضمحلال وأقول الحضارة الأندلسية،حيث أبرز ألكنز ذلك في مقاربته لقوله:أنه لمن المدهش حقا أن نلاحظ طيلة المرحلة الممتدة مابين القرن17 لغاية إندلاع ثورة التحرير الوطني سنة 1954 أن المجتمع الجزائري لم يعرف نقطة ثقافية مثل تلك التي رافقت صعود الوطنية وظهورها في البلدان الأخرى (الكنز، 1990، صفحة 26).

وقد إهتم علي الكنز بتحليل انعكاسات إنفصال المثقفين الجزائريين عن واقعهم الإجتماعي من خلال ثلاث جوانب هي:

- ✓ عجز المثقفين عن تحويل إنتاجهم الثقافي إلى ثقافة ذات بعد إجتماعي،وعدم قدرتهم إلى التحول إلى انتلجيسيا.
- ✓ سوء تقديرهم لأهمية ظاهرة صعود الوطنية في أوساط الجماهير وتذبذبهم عنها حتى عند إلتحاقهم بجبهة التحرير الوطني مما أثر على مركزهم في الحركة الوطنية.
- ✓ تحول المثقفين إلى مثقفين في ظل الدولة الوطنية ما أفرز جيل آخر تحول إلى قناة قولبها النظام البيروقراطي.

وفي طرحه تمكن علي الكنز من تسليط الضوء ،على جوانب لم يتناوله سابقوه أمثال مغنية الأزرق ومحمد بوخبزة وهي ذكره وتعرضه للأسباب التي جعلت من المثقف الجزائري مجرد قناة بين الفئة الحاكم والفئة المحكومة، وهذا ما غفل عنه الآخرون وعدم تسليط الضوء على العجز عن خلق أفكار تؤثر في العمق الإجتماعي من طرف المثقفين الجزائريين، مما جعلت منهم حسب علي الكنز طبقة منفصلة عن المحيط الإجتماعي وهم غير قادرين على التأثير.

4. خاتمة:

إن الدارس لموضوع تشكل الطبقات الإجتماعية في الجزائر يلاحظ ذلك التغير الذي عرفه المجتمع في طبقات المجتمع الجزائري نتيجة للوجود العثماني في الجزائر ، و الإستعمار الفرنسي اللذان ساهما بصفة مباشرة في تغير تركيبة المجتمع الجزائري ، فقد ساهم الإستعمار الفرنسي في محو طبقات كاملة كانت موجودة في الجزائر قبل وجوده نتيجة السياسة المتبعة في الجزائر آنذاك و التي كانت تهدف على تفقير الشعب عن طريق مصادرة الأراضي و ممتلكات الجزائريين ، كما سمحت لبعض الفئات الموالية لها بإكتساب نوع من المكانة لم تكن تملكها من قبل الوجود الفرنسي في الجزائر.

أما بعد الإستقلال فعرف المجتمع الجزائري جملة من التغييرات في البنى الإجتماعية و في التركيبة البشرية حيث ساهمت السياسة المتبعة في الجزائر بعد الإستقلال ، ومن بينها مجانية و إجبارية التعليم في ظهور فئات إجتماعية جديدة لها القدرة على التماشي مع متطلبات المرحلة الجديدة و التي تعتمد على التكنولوجيا في التصنيع و ما صاحبه من قطاعات أخرى كالتسويق و الخدمات .

كما أن الأزمة الإقتصادية التي عرفتها الجزائر في أواخر الثمانينيات ساهمت أيضا و بصفة فعالة في تغير الطبقات الإجتماعية في الجزائر بعد ظهور بورجوازية جديدة في المجتمع الجزائري تملك رؤوس الأموال توظفها في القطاع الخاص بعيدا عن المؤسسات العمومية التي أثرت عليها الأزمة الإقتصادية .

قائمة المراجع بالعربية

1) الان توران. (1976). *إنتاج المعرفة ترجمة إلياس ديري*. دمشق: منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي.
2) إلياس شاهين. (1976). *أجلس بصدد ماركس "رأس المال"*. دار التقدم.
3) بو لكعيبات إدريس. (2018). *الطبقة الإجتماعية الوسطى الصعود و الإنهيار*. قسنطينة: ألفا دوك.
4) بيار بورديو. (1995). *أسئلة علم الإجتماع*. القاهرة: دار العلم الثالث.
5) علي الكنز. (1990). *حول الأزمة*. الجزائر: دار بوشان للنشر.
6) فؤاد مرسي. (1990). *الرأسمالية تجدد نفسها*. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
7) مغنية الأزرق. (1980). *نشوء الطبقات في الجزائر ، ترجمة سمير كريم*. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

قائمة المراجع الأجنبية

1) bourdiew, p. (1974). *maison pratique*. paris: edition du seuil.
2) dfgf. (fgf). *gdf*. fdg: dfg.
3) friedrick, m. c. (1973). *manifesture du partie communiste tradition*. france: librerie general francais.
4) mohammed, b. (1980). *rupture et transformation social en algerie*. alger: o.p.u alger.
5) rene, g. (1978). *classe social et devloppement en algerie depuis l'independance ,un connaissance du triers monde*. paris: union generale d'edition.